أوليفر جوزيف لودج

OLIVER JOSEPH LODGE

يونيو سنة ١٨٥١ — أغسطس سنة ١٩٤٠

للدكتور أحمد موسى

ليس بين المثقفين من لا يعتبر أوليفر لودج من أئمة علماء العصر ، كما لا يوجد من بين هؤلاء من لم يقرأ شيئاً له أو عنه . وإذا أراد أحد المؤرخين أن يسجل فى قائمة أعظم علماء التاريخ من الناحية العلمية ، فإنه يضع اسم أوليفر لودج بين هذه الأسماء إن لم يضعه فى مقدمتهم

أنظر إلى حقل من الحقول وسر بنظرك إلى شجيراته التى غرست فى وقت واحد وتعهدها الفلاح بالرى فى فترة واحدة ، تر من بينها شجيرة تبز غيرها وترتفع عنها ، مع أن البذور واحدة والمؤمل الباقية مشتركة . وكذلك كان الحال منذ بدأ القرن العشرون ، فظهر فى الأفق العلمى كثيرون كان من أبرزهم أوليفر لودج الذى حلق فى سماء الفكر تحليقاً عجيباً ووصل إلى نتائج من أبهر وأسمى ما يمكن الوصول إليه

لم يكن أوليفر لودج موسيقياً ، ولكنه كان يستمع إلى موسيقى الخلود ؛ فيتخذ من هرمونيتها قواعد وأصولاً يجعلها أساس بحوثه فى اللانهاية وفى علاقة الشموس والسيارات والكواكب بعضها ببعض ، وكما يحافظ الموسيقى العبقري من أمثال بيتهوفن وفاجنر على الانسجام والاتزان والارتباط الفائق فى مقطوعاته ، كان أوليفر لودج يتخذ القاعدة البسيطة إلى المبادئ المركبة ، وينتهى بالنتائج المحدودة إلى ما هو غير محدود

وإذا كان العلم رهيناً بالبيئة والاستعداد المولود مع الموهوبين فإن المصادفة قد لعبت دوراً هاماً فى توجيه أوليفر لودج إلى العلم

كان الفضل فى توجيهه لمجلة قديمة اسمها : « الميكانيكى القديم » تناولها صدفة فأثارت كامن استعداده ، ولم يكن فقر أبيه ليحول بينه وبين العلم ؛ فدرس وحفظ وأتقن وتفانن وتعلم وعلّم من أجل الاستمرار فى الدرس ..

ولد أوليفر لودج يوم ١٢ يونيو سنة ١٨٥١ فى بيكنهال بمقاطعة ستافورد بانجلترا من أبوين متوسطي الحال ، وكان أبوه مشتغلاً بصناعة الخزف ، وقد تعلم الابن فى المدرسة الابتدائية فى بيوبورت إلى أن بلغ الرابعة عشرة ، واستمر مع أبيه سبع سنوات جمع خلالها بين العلم والعمل ، بحيث لم يكن اتجاهه العلمى منفصلاً أقل صلة بحرفته التى كلفه بها واختارها أبوه ، وقد صادف يوماً تلك المجلة التى سبقت الإشارة إليها ؛ فانكب على الدرس والبحث والاستقصاء ، فما كان من أبيه إلا أن أرسله إلى لندن ليستمع إلى ما يروقه من المحاضرات

رأى الفتى أنه لا بد له من الدراسة الجامعية المنظمة ، ولا بد له من مال ينفقه فى هذه السبيل ؛ فاستعان بإعطاء الدروس الخصوصية للحصول على النفقات الضرورية ، وأمكنه بعد الجهد أن يحصل على أسمى شهادة تمنحها جامعة لندن وهى إجازة الدكتوراه بعد خمس سنوات قضاها فى الدرس المرهق

وعين فى سنة ١٨٧٩ مساعداً للرياضة التطبيقية بجامعة لندن ، وانتخب عضواً فى الجمعية الملوكية سنة ١٨٨٧ ، وانتقل أستاذاً للعلوم الطبيعية فى جامعة ليفربول سنة ١٨٨١ وظل فيها إلى سنة ١٩٠٠ حيث انتقل عميداً لجامعة برمنجهام

ومنحه الملك إدوارد السابع لقب فارس سنة ١٩٠٢ وحصل على لقب « سير » فيما بعد

ومن أوائل مؤلفاته « نظرات جديدة فى الكهربائية » وهو المؤلف الذى ترجمه إلى الألمانية العلامة هلمهولتس سنة ١٨٩٦[1] وله كتاب ألفه سنة ١٩٠٨ أسماه « الحياة والمادة[2] » تناول فيه بالنقد آراء الفيلسوف الألمانى هيكل صاحب كتاب « لغز الكون[3] » .

وألف بعد ذلك الكثير من الكتب ، وله مقالات ومحاضرات لا يتناولها الحصر ، منها ما ألقاه فى الجامعات ومنها ما ألقاه فى مجمع

(1) Helmholz u. Du Bois-Reymond, Leipzig 1896.

(2) Lodge, Leben und Materie, Berlin 1908.

(3) Haeckel, Die Weltraetsel, Bonn 1899

تقدم العلوم البريطانى . أما مقالاته فقد نشرت عنها نبذة جيدة فى مجلة الطبيعة Nature ومجلة الاكتشافات Discovery وغيرها من المجلات الأمريكية والألمانية والفرنسية والإيطالية

أما الجرائد اليومية التى نشرت له ، فأهمها التيمس التى بدأت منذ فجر القرن العشرين تنشر مقالاته وخلاصة محاضراته عن : « الكهرباء » و « الأتوم » و « المغناطيسية » و « المادة والروح » وغير ذلك

ولم يقف نشاطه عند حد التدريس والتأليف ، بل تعداه إلى الاشتغال العملى كمستشار لإحدى الشركات الكهربائية الكبرى ؛ فقام لديها بتطبيق أبحاثه النظرية فى الوقت الذى فيه استفادت الشركة فائدة عظمى

وقد ظل عميداً لجامعة برمنجهام حتى سنة ١٩١٩ ، أى أنه ظل فى هذا المنصب عشرين عاماً لا يتوانى عن العمل والإنتاج والسعى وراء ما هو جديد فى العلم ..

وقد انتخب رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطانى سنة ١٩٣٣ ، ورئيساً للجمعية الطبيعية وجمعية الأبحاث النفسية وجمعية الأشعة المجهولة .

بهذا الوضع ترى أن لودج جمع بين العلم التجريبى والفلسفة ، وكان وسيطه الأثير ، وظل يتفلسف حتى حلّق بفكره الصافى وخياله السامى إلى عالم الروح !

ما هو الفضاء ؟ وما حدوده ؟ وماذا يشغله ؟ وما هذه الكواكب المنثورة فى رحابه ؟ وما الذى يربط بينها ؟ وما هى المادة ، ومم تتكون ؟ وماذا يربط بين الذرات ؟

صراع عنيف هذا الذى بين العالِم وبين ظواهر الكون ! شجار هائل بين العقل البشرى وظاهرة اللانهاية . ينظر العالِم البصير إلى الوجود نظرة التأمل ؛ فيرتد منه البصر خاسئاً وهو حسير ! لقد قال « كانت » فى كتابه « نقد العقل الخالص[1] » : إن العقل البشرى محدود لا يستطيع اختراق الآفاق للوصول إلى ما يشفى غلته ، وهذه حكمة الخالق !

ولعل ما وصل إليه أوليفر لودج كان من نوع الانبثاقات المشابهة لتلك التى فاز بها أينشتاين دون مقارنة . ومهما يكن من شىء فإن العقل الخصب لا يقف فى البحث عند حد ؛ لذلك ترى لون التفكير الحديث عند لودج بمعناه الكامل

يتجه التفكير الحديث إلى تحقيق تأليف كل مادة من جزيئات منفصلة هى ذرات العناصر المركبة من كهارب وبروتونات وهذه هى الشحنات الكهربائية الدقيقة إلى أقصى ما يمكن للعقل أن يتصوره

أخذ هذا المبدع فى التفكير على هذا النمط ، واتخذ من البسيط قاعدة للمركّب ، واستطاع إدراك الموسيقى الكونية المعبرة عن الكمال المطلق فى الهارمونى الأزلية الأبدية !

كان لودج مؤمناً وكان ينبذ مذهب المادية كنتيجة لإيمانه . فتراه يقول : إن العالم لا يمكن أن يكون مادة خالصة ، فهناك رابط وضابط يربط بين الكائنات ويضبط علاقاتها ، وليس هو بالذات مادياً

وما هو الأثير يا ترى ؟ أهو مادة ترى أم تلمس ؟ يقول لودج فى تعريف صفاته : إنه لا يرى ولا يلمس ولا يسمع ولا يشم ! بل هو ناقل الضوء وهو الرابط بين جزئيات المادة ، كما أنه الوسيط لنقل الأشعة الكونية إلى الأشعة اللاسلكية ، والأشعة الكونية تبلغ حدا قصيراً جدا بينما اللاسلكية قد تصل موجتها إلى اثنى عشر ميلاً أو أزيد

أما جولاته وصولاته فى عالم الروح فهى مشهورة وعظيمة فاعتقاده فى بقاء الروح بعد الموت نتيجة لتجاربه التى يقرر فى إحداها أنه استطاع التحدث إلى ابنه المتوفى ، ويعلل ذلك بقوله : إن الحياة والعقل يبدوان فى مجال لا يشترط أن يكون مادياً دائماً ، وعلى ذلك فبقاؤهما بعد انحلال الجسم المادى محتمل .

ولم يصل لودج إلى التحقيق العلمى فى هذا الشأن ، ولذلك فتعاليمه الروحية مثار كثير من الجدل ، ولكن هذا لا يمنع من اعتباره واضع النواة لاتجاه لا يبعد أن يميط البحث عنه اللثام

(1) Kant, Kritik der reinen Vernunft.

الغموض ، لا سيما وأن الكثير من المبادئ العلمية كانت فى أول أمرها مثار الشكوك ثم ثبت صدقها ونفعها فيما بعد

تذكر « لامارك » واذكر أبحاثه التى ظلت أعواماً طويلة فى عالم النسيان بعد طول الجدل والمناقشة ، وبعد أن كانت مثار الحقد والكراهية له من معاصريه العاملين معه فى معهد واحد ، وتذكر ما قاله « دارون » عن هذه الأبحاث تر أنه لا يبعد أن يجود الزمان بمن يواصل البحث فى عالم الروح على ضوء ما تركه لودج من تراث عظيم فى هذا المجال

جمع لودج بين عالم الروح وعالم المادة ، وله أبحاث هامة عظيمة قد أيدت ، وأبرزها النتائج التى وصل إليها فى ظواهر البرق والصواعق ، والمسلك الذى سلكه للوقاية منها

وله فضل عظيم على نظريات اللاسلكى والأمواج القصيرة والطويلة ، فلا غرابة إذا اعتبره البعض إمام الابتكارات اللاسلكية الحديثة قبل ماركونى

لقد وهب الله هذا الرجل صدق النظر وعلو الهمة والرغبة فى العلم والإنتاج ، كما منحه إلى جانب ذلك عمراً مديداً ، فهو فى هذا كله قد وفق تمام التوفيق وأدى رسالته على أحسن وجه

فإذا سجلنا اليوم بعض مآثره وتناولنا حياته ببيان قصير ، فإن هذا إلى جانب مكانته لا يعد شيئاً مذكوراً

* * *

ولعلنا نعود إلى أبحاثه الروحية فى وقت أكثر رحابة وأوسع مجالاً من هذا الذى اكفهر فيه الجو وخيم الظلام على عقول الناس ؟

أحمد موسى

إلى هواة المغناطيسية وإلى المصابين بالاضطراب العصبى

ترسل تعليمات مجانية عن شرح طرق وتدريبات تعلمك كيف تجرى عملية التحليل النفسى لنفسك وأنت فى منزلك للتخلص من الخوف والوهم والخجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعادات الضارة كشرب الدخان ومن العلل والآلام الجسدية وفى تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المغناطيسية لمن أراد احتراف التنويم المغناطيسى والتأثير به عن قرب وعن بعد مسافات والحصول على دبلوم فى هذا الفن. اكتب إلى الأستاذ الفريد توما مدير معهد الشرق ٧١٩ شارع الخليج المصرى بغمرة بمصر وارفق بطلبك ١٥ مليما طوابع للمصاريف فتصلك التعليمات مجانا برجوع البريد